خمس قصص

لك يوم يا ظالم

الدكتور

عبدالله بن صالح العريني

عضو رابطة الأدب الإسلامي

العبيكان
Obeikan

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العريني، عبدالله صالح

لك يوم يا ظالم./ عبدالله صالح العريني. - الرياض، ١٤٢٨هـ

٦٠ ص، ١٤ × ٢١سم

ردمك: ٥ - ٢٥٠- ٥٤ - ٩٩٦٠

١ - القصص القصيرة العربية - السعودية أ. العنوان

ديوي ٨١٣,٠١٩٥٣١ ٢٠٤٢/ ١٤٢٨

رقم الإيداع: ٢٠٤٢/ ١٤٢٨

ردمـــــك: ٥ - ٢٥٠- ٥٤ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر: العبيكان Obeikan للنشر

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ ٢٩٣٧٥٨١/ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمـــز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان Obeikan

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ ٤٦٥٤٤٢٤/ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمـــز ١١٥٩٥

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

قصة
١

خذها معك

أمّا هذه المرة فشيء غير عادي، وأكثر الأشياء إثارة...!! سماعي صوت والدي يرتفع بالصخب.. والدي.. نعم والدي وهو المعروف عند أقاربي ببرودة أعصابه، وانخفاض صوته، وطول صمته وقلة كلامه.

عمري

يومها عشر سنوات، وكنت ثالث الأبناء في أسرتنا. كان الجوع قد عضنا بنابه، فليس لدينا من حُطام هذه الدنيا الفانية إلا الستر، نتستر به، ونتجمل أن يطلع أحد على حالنا، والغالب أن من سيكتشف فقرنا ليس بيده شيء، فحال أقربائنا (من بعضها) كما يقال، ملابسنا الدراسية تنتظرها أمي عند باب البيت، فلا تبقى على أبداننا ولا لحظة من اللحظات، بل ترفع من فورها إلى الغد ، ونلبس بعدها ملابس البيت التي تبقى معنا في البيت والسوق معاً، وكنا في المأكل والمشرب نعيش على ما يقيم الأود ولا نزيد على ذلك شيئاً.

يذهب والدى في الصباح للعمل في إحدى المزارع، ولا يؤوب إلى المنزل إلا بعد المغرب، ولا أذكر أنني رأيته بعد العصر في منزلنا، في يوم غير يوم الجمعة الذي يجعله عطلة له، يقضي فيه مصالح الأسرة ومتطلباتها، وقد علمت فيما بعد أنّه يكدح من أجل أن يوفر بالإضافة إلى حاجات العيش مبلغ سبعمائة ريال هي الإيجار السنوي للمنزل العتيق المتداعي الذي نسكنه.

كان يوم الجمعة من الأوقات الرسمية للزيارات، والذهاب إلى الأقارب أو انتظار قدومهم، والعجيب أن الترابط الأسرى كان على أشده، فلا أذكر أنه مرّت جمعة من الجمع دون أن نذهب لزيارة

أحد أعمامي، ولا خلا بيتنا وبخاصة ليلة السبت من أحد الزائرين، والأمر في منتهى البساطة، فما كانوا يأنفون من مشاركتنا الطعام مهما بدا متواضعاً، فالنفوس سمحة سهلة، ولذا لا يشعر صاحب البيت أو صاحبته بإحراج من قدوم أحد، وبخاصة إذا كان من المعارف، وما كان ليزورنا غيرهم!!.

في إحدى تلك الليالي السبتيَّة، طرق بابنا رجل كبير السن، سأل عن والدي، فرحبت به وأدخلته المجلس، ثم ذهبت لإحضار بعض الحاجات، وبقي أخي الكبير مع الضيف حتى مجيء والدي.

وحين عدت إلى المنزل، كان مجلسنا يشهد خصاماً، وجلبة صاخبة وهو ما لم يكن معتاداً، فقد مرت سنوات دون أن يحدث مثل ما حدث تلك الليلة، لأن الأمور تُحل دائماً بشكل ودّي، ولا أعرف مشكلة من المشكلات استوجبت أن يعلو الصوت فيها: أمّا هذه المرة فشيء غير عادي، وأكثر الأشياء إثارة..!! سماعي صوت والدي يرتفع بالصخب.. والدي.. نعم والدي وهو المعروف عند أقاربي ببرودة أعصابه، وانخفاض صوته، وطول صمته وقلة كلامه، ومع ذلك فقد كان صوته تلك الليلة قوياً واضحاً مجلجلاً!! كان يردد:

- خذ نقودك.. لا أريدها.

والرجل الآخر يترفق به ويترجاه، ووالدي لا يزداد إلا غضباً:

- قلت لك لا أريدها.. ربي أغناني عنها.. أتفهم؟

- لا تردني يوم أتيت إليك..

- لا تطل معي النقاش..

- هذه ثلاثة آلاف وثمانمائة وخسمة وأربعون ريالاً لا تنقص ريالاً واحداً.. هذا خير فلا ترده.

وتعجبت وأنا أسمع هذا الرقم الكبير الذي يدير الرأس آنذاك، وتعجبت أكثر أن يرفض والدي هذه النقود ونحن في أشد حالات الحاجة إليها.. وتعجبت أخيراً من ترفق ضيفنا... وإصرار والدي ورفضه والضيف يقول:

- أنا ضيفك وفي منزلك.

- أنت ضيفى... وفي منزلي ولكن عُد بهذه النقود من حيث جئت بها، وإلاّ فلا أعدك ضيفاً.. أبداً..

- أهذا آخر الكلام؟

- لو جلست عندي إلى الصباح- وأرجو ألا تفعل - ما تغيَّر رأيي، أنت تعرف السبب جيداً.

- يا (أبو سليمان) سامحني..... المسامح كريم.

- إن كنت رجلاً وتعرف الأصول فلا تستمر في هذا الموضوع، وثق أنك لن تخرج إلاّ بها، فلا تحاول تركها عندي لحظة، خذها

معك، كثّر بها حلالك. وتجارتك!! تهنأ بها الآن كما تهنأت بها في الماضي!!

ثم انتهى النقاش، ونهض ضيفنا ومعه الثلاثة آلاف والثمانمائة والخمسة والأربعون ريالاً ما نسيت المبلغ أبداً!!

وعلى ضوء السراج لم يخف عليّ التوتر الذي بدا عليه والدي وارتعاش يديه، واحمرار وجهه، وترديده بين آونة وأخرى.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم... أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

لم يكن الجو ليسمح أن أسأل والدي عن سر رفضه للنقود، وفي الصباح وجدت أن أفضل وسيلة لمعرفة ما حدث أن أسأل أمي، فسألتها غير أنها لم تزد على أن قالت:

- أبوك يا ولدي أعرف..

وأضافت إلى هذه الجملة.. جملة أخرى وهي قولها:

- دعه.. هذا جزاء ما جنته نفسه عليه.

وأوصد والدي كل طريق أردت منه معرفة ما حدث، تارة بالتغافل عن السؤال، وتارة بالنهي عن أن أتدخل في شيء لا يخصني، ومع ذلك بقي ذلك لغزاً حرت بعقلي الصغير في فك رموزه وحلّه.

من ذلك الرجل؟

وما تلك النقود؟

ولماذا أحضرها؟

ولماذا اشتد رفض والدي لها رغم حاجتنا إليها؟

ودارت السنوات، ونسي والدي ذلك الأمر أو بدا لي أنه نسيه فلم يعد يذكره، أو يذكر تلك الحادثة أبداً، ولم يكرر ذلك الرجل زيارته لنا بعد تلك الزيارة.. ولكنني لم أنس أبداً، فبعد أن كبرت وأصبحت رجلاً مسؤولاً عن عائلة صغيرة، و أحيل والدي إلى المعاش بسبب كبر سنه، وأصبح يعاني فراغاً كبيراً فيسعد أيما سعادة، إذا جلست معه أستعيده قصص الماضي وحكاياته.

ووجدت من نفسي الجرأة أن أسأله ذات يوم عن سرِّ تلك الحادثة، فنظر إليّ في عتاب وقال:

- أما قلت لك دع هذا ولا تعيد ذكره أمامي؟

ولكنني لم أيأس فعادوت طلب معرفة السبب عدة مرات.. وأمام إلحاحي وإصراري ورجائي وجدته يستجيب لطلبي ويقول لي: سأخبرك السبب: كنت يتيماً صغيراً، توفي والدي، وتركني مع أمي، ولم يخلف بعده إلا مزرعة صغيرة، لا تكاد تفي بسداد الديون التي على والدي، فطارت تلك التركة القليلة بين يدي الدائنين الذين لم يتركوا لنا شيئاً أبداً.. فاضطرت أمي لكي تنفق عليّ

وعلى نفسها أن تكد ليلاً ونهاراً في كل عمل شاق، ومرت علينا أيام من الجوع، ليس عندنا شيء أبداً، كان وقتاً كالحلم المفزع كلما تذكرته، والرجل الذي سألتني عنه يسكن قريباً من بيتنا لا يخفى عليه أمرنا أبداً، وكان في سعة من العيش، كانت لديه أمانة لوالدي هي هذا المبلغ الذي جاء به تلك الليلة، فسكت عليه، ولم يخبرنا بخبره، ونام عليه طوال تلك السنوات المؤلمة، وتوفيت والدتي فبقيت عالة عند خالي ورأيت أنا وخالي وأبناؤه من الحاجة والفقر ما لا مزيد عليه، وذلك الرجل يرى حالنا لكنه لم يتحرك بمساعدتنا ولو من الأمانة التي وضعها والدي عنده.

وبعد مضي هذه السنوات الطويلة جاء تلك الليلة ليعيد المبلغ، صحيح أن الحاجة لم تزل قائمة - لكنها ليست بشيء أبداً بالقياس إلى سنوات اليتم والتشرد التي عشتها.

أصبحت نقوده التي أحضرها لا قيمة لها، كأنها تراب!!! الله لا يجزيه خيراً.. الله لا يجزيه خيراً.. هذه هي قصة ذلك الرجل من أولها إلى آخرها، ثم توقف بعدها وسألني:

- هل تراني أخطأت معه في ردها؟

وسكتُّ.. لأن السؤال لم يكن بحاجة إلى جواب، ثم خطر لي خاطر فقلت له:

- كيف تدعو عليه يا والدي، وربما كان الآن ميتاً، أنا متأكد أنه لو كان على قيد الحياة، لعاود المحاولة معك لتسامحه وتقبل النقود، أو وسَّط لديك من لا تردّ شفاعته من الأقارب.

سكت والدي طويلاً.. طويلاً ثم رأيت عينيه تدمعان وهو يقول:

- أتدري؟

- ماذا؟

- إن كان قد مات.. !! فالله يسامحه... الله يعفو عنه.. الله يحلله.. كل هذه الدنيا والله ما تستاهل... يا ولدي... والله ما تستاهل..

قصة
٢

لا... للراحة المتعبة!!

المال وفير في يده فليسعد به في حياته، ويريح نفسه من كل المشكلات، كان يردد عند ظهور أي مشكلة: «أنا أريد أن أرتاح.. أنا أريد أرتاح يا عالم!!.. خذوا أي شيء، ودعوني أرتاح».

لأنـــه ميسور الحال، فقد جعل من أهم أهدافه أن يريح نفسه، وقد انعكس هذا المبدأ على زوجته وأولاده، فأصبحوا يجعلون من أهدافهم أن يريحوا أنفسهم كذلك.

وتبعاً لهذا المبدأ ألقت زوجته بكثير من مسؤولياتها والتزاماتها إلى الخادمة، واعتبرت أن عليها أن ترتاح، فتولت الخادمة كل شيء في البيت، حتى تربية الأطفال أسندت إليها وهي لا تعرف من أصول التربية قليلاً ولا كثيراً، بل ولا تكاد تجد وقتاً لهؤلاء الأطفال مع كثرة أعمال البيت، وما يتطلبه من جهد ليس باليسير.

أمّا هو فقرر أن ينفض يديه من الأعمال التي يمكن أن يقوم بها السائق، وفيما يختص بولديه الكبيرين مرشد وبندر فقد ارتاح من مشاكلهما أيضاً، أو خيّل إليه أنه ارتاح حينما اشترى لكل واحد منهما سيارة، وجعل لكل واحد منهما مصروفاً أسبوعياً، وأخلى الملحق الخارجي ليلتقيا فيه مع أصحابهما.

المال وفير في يده فليسعد به في حياته، ويريح نفسه من كل المشكلات، كان يردد عند ظهور أي مشكلة: "أنا أريد أن أرتاح .. أنا أريد أرتاح يا عالم!!.. خذوا أي شيء، ودعوني أرتاح".

حتى المتجر الذي يديره سرى عليه القانون نفسه، فإذا به يتّكل على الموظفين ويمنحهم ثقة عمياء، لا معنى لوجودها أصلاً.. فكل شيء يسير في حياته لتحقيق هدف الراحة مهما كان الثمن.

ضعفت رقابته ومتابعته للمنزل والعمل معاً.

عاشت مملكة البيت والعمل نشاطاً غير عادي، ولكنه أشبه ما يكون بالنمو السريع لخلايا الأورام غير الحميدة. وأغدق على نفسه من المتع ما جعل التفكير في العمل الجاد، أمراً مستبعد الحدوث من قبله هو.

وجاءته الإشارة تلو الإشارة، والصيحة تلو الصيحة، لكن مصادر الاستقبال لديه كانت مغلقة تماماً كان يردد:

أنا واثق من أبنائي.

أنا واثق من السائق.

أنا واثق من مدير المحل، والموظفين معه..

أنا واثق من زوجتي وأهلي.

اعتقد أن متابعة أهله وموظفيه وأبنائه جريمة عظمى لا يصح له أن يقترفها، أو أن يقدم عليها، كان يعتقد فعلاً أنهم بهذا المستوى من الثقة، فلِمَ كل ضيقة الصدر؟ ولِمَ وجع القلب الذي لا داعي له؟.

ها هي ذي الأمور تسير ليس على ما يرام فحسب ولكن على خير ما يرام!!!، والرجل من رحلة خارج المملكة إلى أخرى، ومن وليمة إلى وليمة، ومن مناسبة إلى مناسبة، في جلسات وسهرات مع أصدقائه لا ينتهي لهم فيها حديث.

أما لعب الورق، فهو فارسه الذي لا يشق له غبار، برع فيه، وتفنن في حيله وحركاته، ووصل إلى مرحلة أصبح فيها سيّد هذا النوع، وبطله الذي يهتز غروراً وكبرياء كلما جاء ذكره، وبعضهم وهو يذكر بطولاته الورقية يقول: (ما شاء الله عليه) وكأن في لعب الورق من الخير ما يمكن أن يحسد عليه!!.

وفي غمرة غفلته، وانشغاله برغباته الخاصة، جاء حظه من المرض، كان مرضاً خاصاً بالكبد. لقد ضعفت بعض وظائف الكبد مع بوادر تخثر في الدم، فدخل المستشفى للعلاج، ولمزيد من الفحوص، وكان دخوله حدثاً مهماً في حياة الأسرة، حتى موظفي محله التجاري، جاؤوا إليه يحملون معهم بطاقات الورد، وبطاقات دعاء له بالشفاء صيغت بأرق عبارة وأجمل أسلوب.

بقي في المستشفى عشرين يوماً، وحينما خرج كان من النصائح أن يخلد إلى الراحة.

قال للطبيب:

- أنا لا أكلف نفسي شيئاً من الأعمال.. أنا في راحة منذ مدة ليست قصيرة.

- لكن الراحة التي أريدها سريرية.. أريدك أن تبقى أكثر وقت ممكن على السرير.

- لمدة تطول؟؟

- ربما كعدد الأيام التي قضيتها في المستشفى.. ؟؟

- نعم...!؟ أو أكثر بقليل.

كانت الآلام المبرحة التي شعر بها تعطيه درساً لم يأخذه طوال حياته. وتجعله يلتزم بأدق تعليمات الطبيب بعد أن ذاق شدة المرض ومعاناته المؤلمة.

وخرج من المستشفى لينام على سرير مماثل في المنزل، ومضى اليوم الأول، واليوم الثاني.. لا جديد سوى عدد من الأقارب الذين علموا بسلامته وخروجه من المستشفى جاؤوا إليه مهنئين.

وفي الأيام التالية، بدت صورة الفوضى في المنزل تظهر أمام عينيه رويداً رويداً.

زوجته أكثر الوقت في السوق.. تصنعت البقاء في المنزل لكنها لا تستطيع. . سمعها تحدث صديقتها في الهاتف وتقول: إنها تكاد تموت من الاختناق، لأنها بقيت دون خروج إلى السوق في اليومين السابقين.

أبناؤه مرشد وبندر لا يأتون للمنزل إلا في وقت متأخر، ولا يذهبون إلى المدرسة الثانوية إلا في وقت متأخر أيضاً، وبعد معركة حامية مع أمهم، أمّا أصدقاؤهم فلا توحي أشكالهم بأنهم على خير!!.

أطفاله متعلقون بالخادمة أكثر من أمهم، حتى إن الخادمة لتحمل الطفل الرضيع على جنبها، حينما تزاول أعمال المطبخ والتنظيف الأخرى.

السائق أصبح كربّ المنزل، والزوجة تتبسط معه، وكأنه ليس رجلاً أجنبياً.

أصبح السرير الذي ينام عليه كالجمر.

قال في نفسه:

- مرض الكبد أمره بسيط أمام هذا الذي يحدث أمامي.. إلى هذا الحدّ كنت نائماً؟؟!

اكتشف أن كل واحد في المنزل له عالمه الخاص، كل واحد له طعام خاص وذوق خاص.. العناد هو أبرز ما يلحظه على أفراد أسرته..

لفت نظره أكثر.. أن الملابس كلها لم تعد تغسل في البيت.. وأنها تتغير لأقل تغير في الموديل، أو لأقل الاستعمال، وأن زوجته تشتري لهم دائماً ملابس وأحذية جديدة.. وماذا ستخسر! ما دام

أنها لا تعرف قيمة النقود، ولم تتعب في الحصول عليها!! وعرف أن هذا هو الذي جعلها تكاد تكون مقيمة في السوق إقامة دائمة.

أخلاق أبنائه مرشد وبندر لم تعجبه ففيهم ليونة وضعف، وفيهم دلع وتميّع.. ليست هي التي يريدها لهم.

وتتابعت الأيام، وكل يوم يكتشف شيئاً لم يكن يعرفه من قبل، عرف أن أبناءه الكبار لم يزوروه في المستشفى إلا بهدايا سخية من والدنهم..! أما أن يعرفوا ذلك من أنفسهم فشيء غير وارد في أذهانهم!!

إلى هذا الحدّ انتكس البيت.. كان يتساءل: أيّة راحة تلك التي أظن نفسي أتمتّع بها وأنا أترك كل شيء يسير إلى الهاوية..؟!

كان منزعجاً في الأيام الأولى التي اكتشف فيها هذه المفارقات، لكن أعصابه بدأت تتحمل لكثرة ما يطلع عليه من أخطاء في المنزل.

هزّ رأسه وقال:

- يا إلهي.. هذا ما أراه في منزلي.. مع أهلي وأقاربي، ماذا يفعل بي إذن الناس الآخرون البعيدون عني... هناك في المتجر؟

لم يعد شيئاً مفاجئاً أن يكتشف خسارة كبيرة في سبيلها للوقوع في متجره، وعلى يد أولئك الذين وثق بهم، وأطلق أيديهم في البيع والشراء وبخاصة مدير المحل الأستاذ زكي. وقرر فوراً أن يتدخل لوقف ما أسماه بالمهزلة!!

رفع سماعة الهاتف وحيّا الأستاذ زكي مدير المشتريات والمبيعات، والآمر الناهي.. وكل شيء في المحل، وأغدق عليه فيضاً من الثناء وكلمات الإعجاب، قال له بالحرف الواحد:

- أنا لا أنسى أبداً قيامك على إدارة المحل في غيابي، أنا لا أعرف كيف أشكرك: وبلع الأستاذ زكي (الطعم)، ثم ختم حديثه بدعوته للغداء معه.

- وحين جاء إليه طلب منه مفاتيح المكتب والمحل. قال له:

- لقد فوّضت مؤسسة الحسابات لتقوم بمراجعة حسابات المحل.

قاطعه الأستاذ زكي:

- ولكننا في الخدمة.. نحن نخدمك من عيوننا.. ثم إن هذا هو عملنا ليس لنا فضل في هذا.

- هذا شعور طيِّب.. لكني لا أريد أن أشق عليك أنت والموظفين في المحل.. ثم إن هذا عمل حسابي.. وهم أهل اختصاص في ذلك. (وأضاف) وأنا عاجز عن شكركم لإخلاصكم وتفانيكم في العمل. ولذا قررت منحكم جميعاً إجازة لمدة أسبوع.. ريثما تنتهي مرحلة مراجعة الحسابات، ولا أظنها سوف تنتهي قبل أسبوع.

وسقط في يد الأستاذ زكي الذي حاول.. وحاول... ولكنه لم يعطه الفرصة. كان الأستاذ زكي ورفاقه يعضون أصابع الندم فلم

يبق على مسرحية سرقتهم للمحل إلا الفصل الأخير فقط ثم ها هو ذا العصفور يفرُّ، وقد كان في قبضة اليد.

وانتهت مرحلة مراجعة الحسابات، فإذا بها تكشف كيف كان نائماً نوماً عميقاً عما يجري من مخالفات واختلاسات.. أوشكت أن تأتي على المحل من أساسه.

ونزل الميدان بنفسه وبدأ يدير المحل، بلباقة وبراعة واستطاع أن يمسك بزمام الموقف، ويعيد ترتيب الأمور، ويستعيد كثيراً مما لدى الأستاذ زكي وزملائه، ثم قرر تغيير إدارة المحل، وإعفاء ثلاثة من موظفيه، بما فيهم الأستاذ زكي.

ورأى أنه قد ابتعد عن البيت مما جعل أفراد الأسرة يحرمون من رعايته واهتمامه، تأكد له أن ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، وأن حاجات الأكل والشرب واللباس ليست كل شيء!!

بدأ يطلب من ابنيه مرشد وبدر مرافقته للمحل في أوقات فراغهما، صعب عليهما في البداية، لكنه أمام إصراره وتفننه في استدراجهم للعمل، نجح في ذلك، ثم رأى بنفسه سعادتهما بعد ذلك فأحبا العمل في المحل، حتى جاء وقت كان يأمرهما بأن يتفرغا لواجباتهما ويدعا المحل للموظفين فلا يوافقا إلا بعد لأي.

ورتَّب الأمور مع السائق، أخبره أنَّ عليه ألاَّ يدخل المنزل بعد ذلك، أما زوجته فطلب منها، أن تظل سيدة بيتها، وأخبرها أن عليها أن تسجل طلباتها. وهو بنفسه سيكلف من يشاء بإحضارها، فقلّت مرات دخولها للسوق واقتصرت على الضروري... وبرفقة أحد ابنيها، فكل واحد منهما قد بلغ مبلغ الرجال.

وبهذا أدرك بيته ومتجره قبل فوات الأوان، وقبل أن تعصف بهما رياح الراحة والتهرب من المسؤولية.

قصة
٣

لن أطبع الخطاب

ووضع الخطاب على مسودة الورق القريبة من شاشة الحاسب، وبدأ يطبع بلذة وخفة ونشاط، كتب نصف الخطاب تقريباً، ثم شعر بكثير من الدهشة توقفت أصابعه عن الضرب على لوحة المفاتيح.

قالت له عند خروجه من المنزل:

- (يا أبو فوَّاز).. الله الله.. في الكسب الحلال.. والرزق الحلال.. اتق الله فينا.. نحن نصبر على الجوع ولا نصبر على النار.

ردّ عليها بتأثر شديد:

- ثقي أني أُفضِّل ريالاً واحداً حلالاً، ولا مليون ريال حرام.. مليون ريال، أتعرفين ماذا يعني المليون...؟

- لكن الإغراءات قد تتوالى عليك، وتضعف أمامها. وربما لا تستطيع أن تثبت أمام زحفها، وبريقها.

- من هذه الناحية اطمئني.. كل شيء إلا المال الحرام.. أنا سمعت في الحديث: "**كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به**". ثم أضاف:

- ثقي أن كل الأمور ستكون على خير ما يرام.. على خير ما يرام إن شاء الله.

سكتت ثم ردّت فيما بينها وبين نفسها:.

- عسى أن يكون ذلك... !!

كان يخاف الله تعالى، وكان شعوره بهذا الخوف حارساً أميناً وقاه من الضعف، ودناءة النفس، فلم تمتدَّ يده بأخذ رشوة أو أخذها من أحد.

وحين وصل إلى مكتبه لبث فيه برهة... دخل بعدها مدير المكتب الذي يعمل أبو فوَّاز سكرتيراً له، ينظم أوراقه ومواعيده، ويكتب له خطاباته.

كان هذا أول يوم يعمل فيه أبو فوَّاز في هذا المكتب. بدا نشطاً، موفور الحيوية يستقبل أيام العمل ببشر وسرور، فقد عثر على ما يريد: عمل كتابي جيد براتب مغرٍ لم يكن يحلم بنصفه. إضافة إلى أن المهندس أسامة الذي يعمل عنده، على درجة عالية من الخلق، وحسن التعامل مع الموظفين.

قال له أسامة:

- إن شاء الله المكتب أعجبك... والشغل ليس صعباً عليك.

- الحمد لله.. هذا شيء فوق الوصف... المكتب والشغل مناسبان تماماً... (ثم أضاف):

- الله يجزيك خيراً يا مهندس أسامة.. لا تعرف كم حاولت أن أحصل على عمل مثل هذا ولكن لم أوفق.

ردَّ المهندس أسامة:

- الله يحييك... (ثم أضاف): خذ مسوَّدة هذا الخطاب واطبعه بالحاسب، وأحضره لي للتوقيع.

وناوله مسوَّدة الخطاب. فأخذه أبو فوّاز ومضى ليطبعه كما أمره.

ووضع الخطاب على مسوَّدة الورق القريبة من شاشة الحاسب، وبدأ يطبع بلذة وخفة ونشاط، كتب نصف الخطاب تقريباً، ثم توقفت أصابعه عن الضرب على لوحة المفاتيح حين قرأ:

(علماً بأن عقد الشراء يتضمن فائدة بنكية سنوية قدرها ٩,٥٪) وأعاد العبارة مرة، ومرتين، وثلاثاً، وأربعاً، وخمساً، ثم ترك الكتابة، وتاه نظره بعيداً عن شاشة الحاسب، نظر إلى كل شيء، نظر للسقف وللجدران، ولأرضية المكتب المفروشة بالموكيت الرمادي المشجر، ثم تنهد قائلاً: لا حول ولا قوة إلاّ بالله. إنا لله وإنا إليه راجعون، ونظر إلى الأعلى وقال بصوت ندي:

- اللهم اكفني شرّ الحرام... اللهم أغنني بحلالك عن حرامك، وبفضلك عن سواك.

دخل في حوار ساخن مع نفسه، يرضى تارة، ويغضب أخرى، يقبل ثم يرفض، وأخرجه من دوامة التفكير والقلق صوت المهندس أسامة يناديه:

- أستاذ أبو فوّاز كل هذا الوقت لكتابة حرفين.. أحضر الخطاب من فضلك.

وقام من كرسيه ممسكاً بمسوَّدة الخطاب وذهب بها إلى المهندس أسامة، نظر إليه وهو قادم وخاطبه بلهجة العتاب الأخوي:

- لقد قضيت وقتاً طويلاً لكتابة خطاب من نصف صفحة، كم من الوقت ستأخذه إذن لكتابة الملفات والمحاضر التي سوف تدخلها إلى الحاسوب.

قال له أبو فواز:

- لن تأخذ مني المحاضر والملفات وقتاً طويلاً.. إنني أكتب بسرعة قياسية في الدقيقة الواحدة، ولكن هذا الخطاب؟ ووضعه على طاولة المكتب!

فامتدت يد المهندس وأخذ الخطاب وهو في حيرة شديدة.

- ما به الخطاب؟؟ أعرف أن خطي غير جيد... لكنه مقروء على أية حال.

- ليست المشكلة في الخط...

- هل المشكلة في الجهاز؟ هل توقف الحاسب الآلي عن العمل؟؟

- ولا ذاك أيضاً.

- أنت متعب ومرهق؟؟

- أنا في فورة نشاطي وحماسي، لو أعطيتني هذه الأوراق التي على مكتبك كلها لنسختها إليك في وقت سريع.

- أين المشكلة إذن؟

- في السطر الخامس!!

أعاد المهندس أسامة قراءة الخطاب، وقرأ السطر الخامس بالذات، فلم ير ما يلفت الانتباه. نظر إلى فوّاز وقال:

- لا أرى خطأ!!

- بلى!! أنت تطلب مني أن أكتب فائدة بنكية... يعني ربا. والرسول (صلى الله عليه وسلم): لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه. وأنا كاتب للربا بهذا الخطاب.

نظر المهندس فيه مندهشاً وتمتم:

- أهذا هو السبب فقط؟!

- نعم.

- لا تريد إذن كتابة الخطاب بسبب هذا!!

- نعم..

- سبحان الله...!! مشاكل من أول يوم..

- يعلم الله لا أحب المشاكل ولا أريدها.

- ولكنك لم تحصل على وظيفتك هذه إلاَّ بكل تعب ومشقة، وأنت بتصرفك هذا تعرّض نفسك للفصل من العمل بسبب اعتراضك.

- الله كريم يا مهندس أسامة.

- طيّب!! كمل لي هذا الخطاب، ثم يكون خيراً بعد ذلك.

- ولا هذا !! المسألة مسألة مبدأ.. يعلم الله إني بحاجة للوظيفة. وظروفي المالية لا تخفى.. ومع ذلك فأنا مستعد للتضحية بالوظيفة إذا لم يكن هناك سبيل لتفادي الاشتراك في هذه الكبيرة من كبائر الذنوب.

كان لدى المهندس شعور مزدوج بضرورة كتابة الخطاب؛ لأنه جزء من واجب السكرتير الوظيفي، وشعور بالإعجاب بقوة شخصية أبي فوّاز واستقامته التي ظن أنه ليس لها مكان في واقع الحياة. وسادت لحظات صمت قطعها المهندس بقوله:

- حسناً اذهب إلى مكتبك الآن، واطبع هذه الأوراق، أمَّا هذا الخطاب فسأكلف أحداً غيرك بطباعته، ثم سأرى رأيي في موضوع رفضك لطباعته.

وذهب أبو فوّاز إلى مكتبه وغرق في نسخ أوراق كثيرة، وخطابات متعددة. وظل موقفه مثيراً للدهشة والعجب لدى المهندس الذي كان يتساءل: أفي الناس من يكون على هذا المستوى من الورع، إنني لا أستطيع أن أسيء إليه، وهو على هذا النقاء والطهر وسلامة القلب.

مرّت الأيام على هذا الموقف. ثم كان لقاء بين المهندس أسامة

وأحد أصدقائه. وفي أثناء الحديث بينهما ذكر لصديقه قصة ذلك الخطاب. فتعجب الرجل وقال:

- ألم يتراجع عن موقفه فيما بعد؟

- لقد نسيت الأمر ولم أرد أن أحرجه، وإن كان تصرفه هذا سيوقف طباعة كثير من عقود الشركة وخطاباتها.

قال الرجل:

- هدّده بالفصل من الوظيفة، وأخبرني من فضلك عن ردود فعله.. إن حالته مثيرة حقاً.

في اليوم التالي كان المهندس يتصل بصديقه ويخبره أنّه قد جرب مع الموظف أبي فواز كثيراً من الضغوط والتهديد بالفصل، ولكنه لم يساوم على هذا الموقف، بل رفض مناقشة الموضوع. وعندما انتهى من حديثه قال ذلك الصديق:

- يبدو أنني عثرت على ضالتي.. أرجوك أن توافق على أن يعمل عندي في الشركة.

- ولكنه موظف مخلص ليس طبيعياً أن نحرم المؤسسة منه.

- سأطلب من مدير مؤسستكم الموافقة على أن يعمل عندي في الشركة، ولي رجاء ألا ترفض ذلك.. أنت تعرف حاجتي الماسة إلى أمثاله، أما مؤسستكم فغنيّة بالطاقات والكفاءات.

قال المهندس بعد أن سمع رجاءه المتكرر:

- لا مانع عندي..

- جزاك الله خيراً.

لم يكن أبو فواز يعلم بالنقاش الذي تمّ بشأن نقله إلى الشركة الأخرى. بل كان يعيش قلقاً شديداً، وينتظر بين آونة وأخرى خطاب الفصل من وظيفته التي حلم بها كثيراً. ولكنه مع ذلك بقي متماسكاً لم يضعف، وفوّض الأمر لله تعالى، وزاد من ثباته أن زوجته كانت معه، تشدُّ من أزره، وتذكره أن الكسب الحلال، واللقمة الحلال لا يعدلها شيء في الدنيا كلها.

وجاءه الفرج من حيث لا يحتسب، حين أخبره المهندس بأمر انتقاله إلى شركة أخرى، ولكي لا يسيء أبو فواز فهم ما حدث له، أكد أنه - وإن كان سيسهل انتقاله لتلك الشركة - فليس زهداً فيه، أو مللاً من وجوده؛ بل لأن الظروف هناك ستكون أفضل، ولن يضطر إلى كتابة مثل هذه الخطابات. كما سيأخذ راتباً أكبر من راتبه في هذه المؤسسة. وحينما فرغ أبو فوّاز من سماع ذلك قال:

- ولكني لم أعلم بشيء من ذلك.

قال المهندس أسامة:

- بعد أن عددت لك مزايا العمل الجديد فأنت حر بالقبول أو الرفض ثم (أضاف): إنني أغبطك على العمل عند صاحب الشركة

الجديدة، إنه يقدر الكفاءات، والأمر في النهاية لك.

نظر بدهشة وقال:

- وكيف لي أن أرفض؟! (ثم أضاف) ولكن متى أباشر العمل في الشركة الجديدة.

- في بداية الأسبوع القادم... هذان اليومان صفِّ الأعمال التي طلبتها منك، سيأتي موظف جديد، لتريه كيف تسير الأمور في المكتب.. ثم لك أن تذهب بحفظ الله.

بعد انتهاء دوام هذا اليوم كان أبو فواز يحمل إلى البيت مفاجأة.. مفاجأة غير متوقعة لزوجته. ولذا... ومنذ أن دخل المنزل وهو يصيح:

- نورة... نورة.. أبشري... أبشري فُرجت... جاء الفرج يا نورة..

وجاءت على عجل وهي متلهفة لسماع الخبر.

قال أبو فواز:

- بدل أن أنتظر خطاب فصل من الوظيفة، تسلمت خطاب التعيين في وظيفة أحسن، وأفضل، وأكثر راتباً.. سأنتقل إلى شركة أخرى.. أتدرين؟؟ صاحب الشركة نفسه طلبني للعمل في مكتبه، ووعد بمكافأة سخية بعد أن يرى العمل. أليس ذلك رائعاً..

جميلاً.. الحمد لله... ما رأيك يا نورة؟

قالت:

- يبدو أن الفرحة ستؤثر عليك...!! بسم الله عليك... أنا لا ألومك، أما قلت لك اصبر... فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

قصة

٤

لك يوم يا ظالم

لكنني كنت واهماً؟؟ كنت قد نسيت أن الله بالمرصاد، وأنه يمهل ولا يهمل.. وأن ملف القضية إذا أغلق في الأرض، فهو لم يغلق في السماء... وعرفت بعد فوات الأوان أنني لن أستطيع أن أفر من يوم القصاص الذي أهرب عنه إذ إنني أفر منه إليه!؟

في السجن

المركزي في (أسيوط) إحدى محافظات مصر سجين أمره غريب.. فتح الجنود عليه باب الزنزانة... ووضعوا القيد في يديه ورجليه، وسيق إلى المكتب الرئيس للسجن للانتهاء من آخر إجراء قبل تنفيذ حكم الإعدام به.

الطريق طويل... طويل جداً على الجنود، قصير جداً... على ذلك المحكوم، لا شيء يبديه سوى بعض التنهدات، طرق سمعه قول الجندي للضابط المكلف.

- القاتل معنا الآن.

- كم النمرة .

- ١٨

قال في نفسه:

- كذا... (القاتل)... الجميع موقنون أنني القاتل.. أصبحت هذه حقيقة، ولذا كان المصير هو الإعدام.

قبل الحكم بالإعدام كانت هناك سلسلة طويلة من الإجراءات: المحاكمة، والمناقشات والمداولات، القاضي والشهود والمدعي العام والمحامون، لقد تأكد بالأدلة والوثائق أنه هو القاتل.

وفي يوم الحكم عليه قال القاضي لزميله:

- أنا لم أرتح نفسياً لحكم من الأحكام مثل هذا الحكم، الذي أصدرته على هذا الشخص. ولا أشعر بألم نفسي، ولا بمعاناة، فالقضية واضحة وضوح الشمس، لا مجال للشك أو الحيرة أو التردد، سأنام حين أنام دون قلق.

كان يسير مع الجنود، وحين مروا في الطريق ببرادة مياه في ردهات مكاتب السجن. سأل الجنود أن يتوقف ليشرب منها.. توقفوا لحظات، فانكبَّ يعبُّ من الماء، كان منظره منظر الذي آخر عهده من الدنيا شربة هذا الماء، وربما كان كذلك حقاً.

صك سمعه مرة ثانية كلمة (القاتل) يقولها أحد الجنود لزميله...

"ما زالوا يتعاملون معي على أنني القاتل!! ترى من يصدقني؟... من يسمع مني؟ لا أحد!!"

قال للجندي:

- أتعرف الله؟

ردّ عليه:

لا إله إلا الله.

- وحياة ربنا لست الذي قتلت هذه الضحية؟!

سكت الجندي على مضض، لا يدري ما يقول، ونظر إليه بإشفاق وقال:

- رأيي لا يفيد على أية حال.

واصل السجين:

- هذه الضحية لم أقتلها... مروري بجانبها سبب إلصاق التهمة بي، كنت قريباً منها، وحين رأيت الرجل يتخبط في دمه، أردت فقط أن أتأكد من حياته.. فإذا الموقف يتغير.. يتغير تماماً. ثم أصبح أنا القاتل!!

ودمعت عيناه وهو يرى ملف القضية يحمله الجندي الآخر، وقد اكتملت التوقيعات اللازمة لتنفيذ الحكم.

آنس من الجندي شيئاً من الرقة والعاطفة، ولكن الجندي مسكين لا يملك شيئاً... لا يملك شيئاً مطلقاً. قطع عليه هواجسه صوت الجندي يقول:

- لا إله إلا الله.

رددها هو الآخر بزفرة حرّى.

في طريق العودة من المكتب الرئيس في السجن إلى الزنزانة قال له:

- أنت لم تصدق أنني لست القاتل... أليس كذلك؟

ردَّ الجندي بشيء من الضيق.

- الذين يُحكم عليهم بالإعدام ربما يقولون مثل قولك!

- لكنني صادق...!! لكنني سأخبرك بشيء لم أقله للقاضي... لم أقله للمحامي... لم أقله للمحكمة... لم أقله لمخلوق قبلك..!!

وأثارت الجندي هذه العبارة، وتساءل بينه وبين نفسه: "ترى ما الذي يريد أن يقوله"؟

لم تطل حيرة الجندي إذ سرعان ما سمع السجين يقول:

- لن أعيد عليك عبارة "إنني لست قاتل هذه الضحية"... خلاص...! لقد تأكد لدي أن الجدران ستسمع مني أكثر من أي إنسان. لن أكلفك عناء ترديد العبارة التي مللت أنت من سماعها من أكثر المحكومين عليهم... ولكن الجديد في موضوعي، هو أن الله يعاقبني على جريمة أخرى قديمة نجوت من العقوبة عليها... يداي ملوثتان بدماء قتيل آخر غير هذا القتيل.. جريمة أقدمت عليها في الماضي، ولم أُعاقب عليها... نجوت من القصاص بالرغم من أنني أنا القاتل، والمفارقة أنني حضرت بنفسي تنفيذ حكم الإعدام بذلك البريء، كنت الوحيد بين الموجودين كلهم الذي يعرف براءة ذلك المتهم. ولكني لم أقل شيئاً. ورأيته ينفذ فيه حكم الإعدام.. صراخه ما يزال يدوي في أذني حتى الآن، وهو يردد: أنا بريء... لكن ذلك لم ينفعه.. ونفذ فيه الحكم بالإعدام... شعرت

أن شيئاً ثقيلاً قد أزحته عن كاهلي حين قُتل، ملف القضية أقفل إلى الأبد، شعرت بارتياح لأنني سلمت من تبعات عمل اقترفته يدي، خيّلَ إليّ أن الموضوع انتهى.

لكنني كنت واهماً؟؟ كنت قد نسيت أن الله بالمرصاد، وأنه يمهل ولا يهمل.. وأن ملف القضية إذا أغلق في الأرض، فهو لم يغلق في السماء... وعرفت بعد فوات الأوان أنني لن أستطيع أن أفر من يوم القصاص الذي أهرب عنه إذ إنني أفر منه إليه!؟ وهكذا مرت بضع سنوات.. وجاءت هذه الجريمة التي أعاقب من أجلها: بدأت بخصومة بين اثنين، وانتهت بمقتل أحدهما، وفرار الآخر الذي لم يُعثر عليه أبداً، كأن الأرض قد انشقت وابتلعته. لم يبق في مسرح الجريمة غيري. وسارت إجراءات الحكم بشكل سريع... الكل مقتنع تماماً أنني أنا القاتل حتى صدر الحكم بالإعدام. وها أنت ترى زميلك يحمل ملف تنفيذ الحكم، الذي كان يجب أن يصدر قبل هذا الوقت، كان جديراً أن يصدر في تلك الجريمة السابقة!! تلك الجريمة التي أبدعتُ في إخفاء كل شيء يربطني بها، وخرجت منها كما تخرج الشعرة من العجين، وجاء اليوم دور القصاص. ثم توقف عن الكلام وكرر النظر إلى الجندي، ثم قال:

- لا أعتقد بعد ذلك أنك ما زلت تكذبني حين أقول: إنني لست القاتل. وعند تنفيذ الحكم ربما سيكون القاتل الحقيقي بين جمهور الناس يرى مصرعي ويعتقد أنَّه قد نجا..!!

قصة
٥

إن ربك لبالمرصاد

وعاد الصمت البغيض يشمل هذا الجزء من العربة، كان يحاول أن يبدو بسيطاً، بحيث لا يعتقد أحد أنه قاتل مجرم، الثقة بالنفس مهمة جداً، والهدوء وبرودة الأعصاب مهمان أيضاً.

في القطار

المتجه من الصعيد إلى الإسكندرية كان رشوان يشعر بغير قليل من السعادة والابتهاج، فلقد قتل غريمه الذي بحث عنه كثيراً حتى وجده.

لا أحد يصدق أنه استطاع أن يقتل عطوة بهذه السهولة، كانوا يرددون: إنك يا رشوان أضعف من أن تأخذ بثأر أخيك.. خسارة فيك نسب (العيلة)! حين يخبرهم بأنه شرب من دمه.. لن يصدق أحد، لقد حبكها خطة بارعة.

استطاع فيها أن يصل إلى طريدته، ويستدرجه إلى المكان الذي يريد، ثم هجم عليه، تظاهر أنه ذليل أمامه، قبل منه كلمات الإهانة، والاحتقار، وحينما دنا منه... انتهى عطوة، انتهى تماماً.

وغابت شمسه إلى الأبد. لقد هجم عليه، وأغمد في صدره خنجراً، ثم قرر الهرب قبل أن يكتشف أمره. لكنه لم يفعل... تذكر شيئاً مهماً.. إنَّ أحداً لن يصدق أنه هو الذي قتل عطوة وشرب من دمه فعلاً، فعليه إذن أن يحمل معه رأس القتيل... وفي الإسكندرية، سوف يرمي بالرأس وسط الرجال، عندها ستخرس الألسنة، التي طالما شككت في قدرته على الأخذ بثأره.

إنه ليس طفلاً ولا امرأة. إنه رجل يستطيع أن يأخذ ثأره بيده هذه، ويحطم الرأس التي تتعالى عليه.

منذ اليوم سيتغير كل شيء، ستنتهي صورة رشوان الضعيف العاجز، وستتحول إلى صورة رشوان القوي الشرس الذي لا يؤمن جانبه.

واجتزَّ رأس القتيل، ولفّه بعناية بالغة ببلاستيك ثم وضعه في ثوب قديم كان معه. ثم وضعه في القفَّة.

ثم صعد إلى القطار في أول محطة من المحطات. وكانت وجهة القطار إلى الإسكندرية. وقد قالوا من باب المداعبة: إن الصعيدي لا يعرف النزول في أي محطة من المحطات. فهو يظل في القطار حتى يتوقف القطار من نفسه في آخر محطة له في الإسكندرية، وهذا سبب كثرة الصعايدة في الإسكندرية!!

كانت العربة مزدحمة بالركاب، ألوان متعددة من الناس، معهم حوائجهم وأغراضهم التي حملوها معهم، بعضهم معه أقفاص طيور، أو دجاج أو سلال بيض، ربما كانت هدايا الأقارب لهم، وربما كان الواحد منهم سيبيعها، ويعلق على بيعها الأمل بشراء شيء له أو لأسرته، أو لأحد أبنائه.

هناك أيضاً أكثر من قفَّة لا شك أن كل واحدة تحمل غرضاً من الأغراض، لكن القفَّة التي معه تحمل رأس إنسان، لا يوجد واحدة أخرى مثلها، إنها هي أثمن هذه القفف جميعها، سيأخذ بها الرهن من (بلديَّاته) في الإسكندرية، حين يثبت لهم أنه رجل حقاً، ويرمي برأس عدوه تحت أقدامهم.

وتأمّل في الموجودين.. شعر بملل شديد وهو يرى الذين عن يمينه ويساره منشغلين عنه بأنفسهم، كلما فتح مع أحدهم باباً للحديث، وصل بسرعة إلى طريق مسدود. وعاد الصمت البغيض يشمل هذا الجزء من العربة، كان يحاول أن يبدو بسيطاً، بحيث لا يعتقد أحد أنه قاتل مجرم، الثقة بالنفس مهمة جداً، والهدوء وبرودة الأعصاب مهمان أيضاً. إن رشوان يبدو عادياً جداً وهو يتلطف مع الأطفال في العربة ويضاحكهم، ليته حمل معه بعض الحلوى ليبدو في غاية اللطف والذوق.!!

وفي مقدمة العربة كانت هناك مجموعة من الجنود أخذوا المقاعد الأمامية وتعالت ضحكاتهم وجلبة أصواتهم. كانوا يمزحون فيما بينهم ويتبادلون التعليقات الساخرة ببساطة.

وقرر أن يذهب إليهم... هذا هو شأنه، واثق من نفسه، فليقترب منهم وليحادثهم، ويقطع الوقت بمحاورتهم، أليس المثل يقول: اقترب من الخوف تأمن؟

وهو لا يخاف، ولماذا يخاف...؟؟ إنه مجرد مسافر من مجموعة هؤلاء المسافرين، متاعه هذه القفَّة الصغيرة التي يحملها معه، بل هو أكثر المسافرين في العربة تلطفاً، وأدباً مع الآخرين... خوفه من اكتشاف أمره يتغلغل إلى داخل شعوره؛ ليجعله يأخذ

النقيض تماماً في تصرفاته، مبالغة في الخفاء والستر على حقيقته الإجرامية.

وصمم أن يذهب إليهم، وأن يأخذ معه القفَّة التي فيها رأس القتيل، لقد خشي لو ترك القفَّة وحدها وذهب إليهم بدونها أن تسرق!!! أو يعبث بها فضولي فيفتحها وهو منشغل مع الجنود، إن الحكمة تقتضي أن يحملها معه... قفَّة عادية لا تثير انتباه أحد.

ووصل إليهم وجلس قريباً منهم، كان عذب الحديث، لطيف المعشر، يحفظ مئات النكات، و(يحبك) الكثير منها على الفور. أما المواويل فهو صاحبها البارع.. علَّمته حياة التعب والشقاء أغاني الشوق والحنين. فهو خير من يغنيها ويطرب الناس بها.

وتلقاه الجنود برحابة الصدر، وما هي إلا دقائق حتى انسجم معهم تماماً، ولولا الزيّ الرسمي الذي يرتدونه لكان واحداً منهم، ما في ذلك شك.. !! سأل البكباشي عن وجهتهم.

قال له البكباشي:

- نحن عملنا الأصلي في دمياط. جئنا إلى الصعيد لمهمة. وها نحن عائدون إلى مقر علمنا بعد انتهاء تلك المهمة.

قال رشوان:

- لا بد أن المهمة تكللت بالنجاح.

رد عليه البكباشي:

- نجاح... وأي نجاح.. نحن بانتظار ترقية أو علاوة... أو خطابات شكر على الأقل.

- يبدو أنكم منذ مدة تعملون مع بعض.

- منذ ثماني سنوات، (ثم أردف) ما عدا هذا المتين الأسمر فهو معنا منذ ثلاث سنوات فقط.

- ومع ذلك دخل في اللعبة.

- تماماً...

وسار بهم الحديث والنكت في كل اتجاه وفجأة رفع رشوان صوته الجهوري المتميز يغني:

على بلدي المحبوب وديني

زاد وجدي والبعد كاويني

ودوّى صوته الحلو القوي في أرجاء عربة القطار، كان الجنود في البداية يرددون معه، وشيئاً فشيئاً انتشرت عدوى الإنشاد؛ فإذا بأكثر أهل العربة ينشدون، وإذا بالتصفيق والصفير يشتد ويأخذ الحماس ببعضهم فيتمايلون طرباً، ونشوة.

وتبدد عن جو العربة السكون الموحش، وسرت في أحشائها نشوة الطرب،وتعالت صيحات الإعجاب، وكلمات التقدير:

"اللي يحب النبي يصلي عليه".

"اللهم صلِّ على النبي".

"روح!! إلهي يحرسك مل عين!!"

وبعد موجة الطرب والإنشاد، جلس رشوان والجنود يتبادلون الحديث الهادئ، بعد أن انتهت عاصفة الجلبة والضجيج، وراح يفكر فيما بينه وبين نفسه: " آه لو علم الجنود أن رأس قتيل معه الآن في القفَّة، إذن لانطبقت السماء على الأرض، وانتهى كل هذا الود بينه وبينهم".

كان هنالك قيد حديدي وضعه أحد الجنود بجانبه قال له رشوان:

- أهذا هو القيد الذي يُقيد به المجرمون؟

- نعم... أهذه أول مرة تراه.

- أجل... (وسكت قليلاً ثم قال):

- أرني إياه..

وناوله الجندي القيد، فأخذ يقلبه بين يديه، ويبدي تعجبه منه، وزيادة في التبسط معه قال ضاحكاً:

- غريب... هذا القيد صغير جداً لا يكاد يكفي لوضع اليدين فيه.

- بل يكفي جداً... أتريد أن تجرب؟

ومدّ رشوان يديه وأدخلهما في القيد. ومكث فترة يقلب يديه وحين أشبع غريزة الفضول لديه. طلب من الجندي أن يفتح قفل القيد!

قال الجندي:

- حاضر... يا باشا..

وأدخل يديه في جيب البنطلون بحثاً عن المفتاح، لكنه لم يجده..!! وفي الجيب الآخر.. ولكنه لم يجده..!! هنا سأل رئيسه. البكباشي عن المفتاح؟ وحين أجاب بـ (لا). شعر رشوان بقلق كبير، وبدأ ينفعل... وبدأت أعصابه تثور رويداً رويداً...!!! لكنه لم يستطع أن يبدي شيئاً من انفعالات الخوف المكبوتة في نفسه. وقلق الجنود أيضاً، كل واحد سأل الآخر. لكن لا أحد معه المفتاح..

وراح يراقب الوجوه بنظرات زائغة، ويسأل برجاء حار، وعبارات توسل مؤثرة أن يفتشوا عن المفتاح.

كانوا جادين في البحث عنه في ملابسهم، ومقتنياتهم التي معهم، ولكن لا أمل في العثور عليه. وفي غمرة البحث المتواصل، تذكر أحدهم أنه نسي مفتاح القيد على مكتب مأمور المخفر في الصعيد.

وسقط في يده!! وخارت به قدماه؛ لأن معنى عدم العثور على المفتاح أن يظل في القيد حتى يعود أحدهم إلى الصعيد ويحضر المفتاح، وهذا يتطلب يومين على الأقل.. أو يتصلون بالمكتب فيحضره أحد القادمين وهذا سيحتاج إلى يوم أو بعض يوم!

ترى أي فكرة سخيفة تلك التي حملته على أن يضع يديه في القيد ويغلقه عليهما؟ هل انتهت كل الألاعيب والمزاح ولم يبق إلاّ هذا فقط؟!!

كان يلوم نفسه، ولكن اللوم لم يعد يجدي. لقد حفر قبره بيديه.

أصبحت نظراته لا تنتقل عن القفّة... كانت بعيدة عنه، وحين رأى بعض الجنود تركيزه عليها حملها، وجعلها قريبة منه.

ومضى الجنود يحاولون تهدئة أعصابه، والمزاح معه، ولكن لا فائدة، فلم تعد للنكت ولا للمواويل ولا للتعليقات طعم.

ودون قصد دفع أحد الجنود القفَّة بقدمه، ثم رأى أن يعتذر فحملها وجعلها جانباً.

وكانت المفاجأة حين رفع القفَّة عن أرضية العربة.. فبدت بقعة من الدم الأحمر القاني...!!!!؟؟

انزعج الجندي.. وانحنى على بقعة الدم بين مصدِّق ومكذِّب. ومدَّ يده باتجاهها، وتلمس بأصبعه السبابة تلك البقعة الحمراء.. إنها دم!! إنها بالفعل دم!! جريمة قتل إذن؟!

وتلعثم رشوان، تحول لسانه الرطب إلى خشبة يابسة في فمه، نشف ريقه، وجحظت عيناه.

وصرخ الجندي برئيسه ورفاقه:

- دم يا فندم!!

- جريمة قتل... جريمة قتل يا فندم.

ومن غير أن ينتظر أمر رئيسه أقبل على القفَّة يفتحها، ويفكُّ اللفافة الكبيرة، والجميع ينظرون بدهشة. وحين أبعد قطعة القماش البالية بدا رأس القتيل في الكيس البلاستيكي، بدا الوجه ملطخاً بالدماء...!! وانتهى كل شيء...!!

وصرَّ أحدهم على أسنانه من الغيظ، فيما لم يتمالك أحد الجنود نفسه من صفع رشوان على وجهه بقوة، وهزه أحدهم بشدة وهو يقول:

- يا مجرم!! يا سافل!! أردت أن تخدعنا، وتظهر أنك طيب وابن حلال.

لم تعد للكلام قيمة، كانت فضيحة هذا المجرم، والقبض عليه بكل سهولة شيئاً يثير الدهشة.. هكذا بمنتهى السهولة.. يأتي به قضاء الله تعالى ليرمي به في أيدي الجنود، ويقيد نفسه بنفسه.

وأطرق رشوان برأسه إلى الأرض، كان يصل إلى سمعه ما يقولون، وشماتتهم البالغة. وكان صوت عجلات القطار، وصفيره المميزان يذكرانه أنه لن يقدر على الذهاب إلى أصدقائه في الميناء، بل سيُذهب به إلى السجن المركزي... ألم يحضر بنفسه أقوى دليل يدينه، ويثبت عليه الجريمة؟!!

المحتويات

الموضوع	الصفحة
✍ خذها معك	٥
✍ لا ... للراحة المتعبة	١٥
✍ لن أطبع الخطاب	٢٧
✍ لك يوم يا ظالم	٣٩
✍ إن ربك لبالمرصاد	٤٧